

التعذيب الاستعماري الفرنسي في الجزائر فنونه وأساليبه من خلال جريدة المجاهد 1957-1962:حالتها جميلة بوحريد، وجميلة بوباشا أنموذجا

استحضار للذاكرة ودعوة للمحاكمة-

عيسى لتيتم - نجاح سلطان

1 جامعة باتنة 1، aissalitim@yahoo.fr

2 جامعة بسكرة ، soltane.nadjah@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/06/07 تاريخ القبول: 2019/09/13 تاريخ النشر: 2021/12/31

Abstract :

torturing is considered as a cruel and inhumanity case and this is confirmed by all laws and constitutions because it violates human dignity and humanity and this was practised by the French colonial administration in Algeria against both men and women and the case of Djamila Bouhired and Djamila Boubacha. was a cruel proof of the colonists against the Algerian women that lead to worldwide condemnation and recieved sympathy from international organizations and public opinin ,and this is what we tried to emphasize through el Mudjahid newspaper.

الملخص:

يعتبر التعذيب حالة قاسية ولا إنسانية وهذا ما تؤكدته جميع القوانين والساتير لأنه ينتهك الكرامة الإنسانية والإنسانية وهذا ما تمارسه الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ضد كل من الرجال والنساء وقضية جميلة بوحريد وجميلة بوباشا، كان دليلاً قاسياً على المستعمرات ضد المرأة الجزائرية التي أدت إلى الإدانة في جميع أنحاء العالم وتلقيت التعاطف من المنظمات الدولية والرأي العام، وهذا ما حاولنا التأكيد عليه من خلال جريدة المجاهد.

المؤلف المرسل: نجاح سلطان، الإيميل: soltane.nadjah@gmail.com

■ مقدمة:

سجل الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ملي بالجرائم ضد الشعب الجزائري، لا يمكن لهذه الورقة أن تحصيها أو تعدد أنواعها، فمنذ حلولها بالجزائر وهي تمارس سياسات جهنمية شملت الأرض والإنسان، هدفها إذلال الإنسان الجزائري وإبادته، والتاريخ يقدم لنا صور حية عن ذلك، إبادة قبيلة العوفية 1832، و مجزرة البليدة في 26 نوفمبر 1830، ومحرقه سكان الظهرة في غار الفراشيش في شهر جوان 1845، و الصبيح.....

و كان التعذيب بنوعيه المعنوي والجسدي جريمة أخرى ارتكبت في حق الشعب الجزائري بجميع فئاته نساء ورجالا ، كوسيلة لتركيعه ، وإذلاله، وتحطيم معنوياته، وكانت هذه الجريمة أداة حرب مؤسسية قائمة بذاتها تلقى الدعم المادي والبشري من طرف الحكومات الفرنسية التي تعاقبت على الحكم، ولم تتوان هذه الأخيرة، في تمكين هذه المؤسسة ورجالاتها الغطاء القانوني لها، الذي يجعلها بعيدة عن أية متابعة قانونية قد يعرقل سير عملها.

مشروع الورقة العلمية هذه سيتناول جريمة التعذيب، التي تعرض لها الشعب الجزائري أيام الثورة التحريرية، وتأخذ كمثال حي ما تعرضت له المناضلتين : جميلة بوحيرد ، وجميلة بوباشا من تعذيب على يد مؤسسات ورجال السلطة الاستعمارية ، والتي أثارت استنكار العالم اجمع ضد وحشية الاستعمار وجرائمه البشعة، وتستقي معلوماتها من جريدة المجاهد اللسان الناطق باسم جبهة التحري منذ جوان 1957، وبعض المصادر والمراجع التي تعمقت في دراسة هذه الظاهرة، وسيم معالجتها في شقين: قانوني يستعرض بالدرجة الأولى، جريمة التعذيب في الاتفاقيات الدولية، والمؤسسات الفرنسية التي أوكلت لها مهمة تنفيذها في الجزائر، وتاريخي يوضح ويعدد أساليب التعذيب الممارسة في حق الشعب الجزائري مع اخذ حالات: جميلة بوحيرد، وجميلة بوباشا كعينة للدراسة .

01- ماهية التعذيب في الاتفاقيات الدولية

يعد التعذيب من أخطر الانتهاكات التي يتعرض لها الإنسان، لما يمثله من امتحان لكرامة الفرد، وإيلاما لضحاياه، وهي ظاهرة قديمة لم تكن وليدة زمان أو مكان، وعلى ذلك فقد شهد العالم مراحل متطورة كثيرة في طريق المحافظة على حقوق الإنسان، ومناهضة تعذيبه (اتفاقية جنيف لعام 1864، اتفاقية جنيف لعام 1906، اتفاقية لاهاي لعام 1907، اتفاقية السلام لعام 1919، اتفاقية جنيف لعام 1929)، (عزري، 2010-2011، ص ص 29،90)

ومفهوم التعذيب أخذ بعدا قانونيا أكثر وضوحا مع تزايد نشاط وفاعلية الحركة الدولية الداعية إلى احترام حقوق الإنسان، لاسيما بعد الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وظهور منظمة الأمم المتحدة، التي ركز ميثاقها على جوانب مهمة تتعلق بالحقوق والحريات، ونستعرض في هذا المقام مفهوم جريمة التعذيب في المواثيق والإعلانات الدولية.

على صعيد القانون الدولي الإنساني، كان أول ميثاق دولي له الفضل في التأكيد على خطر "التعذيب" إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادته الخامسة، و تدعمت المسألة أكثر في البروتوكولان الإضافيان لاتفاقيات جنيف، عندما أشارا صراحة في إحدى موادهما على "خطر المساس بالصحة والسلامة البدنية والعقلية للأشخاص الذين هم في قبضة العدو، أو يتم احتجازهم. (محمد، 2010، ص ص 26،31)

وتعززت قاعدة حظر التعذيب بفضل العهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية والمدنية، عندما أكد على عدم إخضاع أي أحد للتعذيب أو المعاملة القاسية، أو المهينة "و أوجبت على الدول " أن تعامل جميع المحرومين من حريتهم معاملة إنسانية، تحترم الكرامة الأصيلة في الشخص الإنساني".

كانت أولى المعاهدات التي أعطت تعريف دقيق للتعذيب "إعلان حماية جميع الأشخاص من التعرض للتعذيب، وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللإنسانية أو المهينة عام 1975، تلاه التعريف الدولي في الاتفاقية الدولية لمناهضة التعذيب عام 1984.

عرفته الاتفاقية الأولى على انه "أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد جسديا كان أم عقليا، يتم إلحاقه عمدا بشخص ما، بفعل أحد الموظفين العموميين، أو بتحريض منه، لأعراض مثل الحصول من هذا الشخص أو من شخص آخر على معلومات أو اعتراف، أو معاقبته على عمل ارتكبه، أو يشتبه في انه ارتكبه، أو تخويفه، أو تخويف أشخاص آخرين، ولا يشمل التعذيب الألم أو العناد الذي يكون ناشئا عن مجرد، إجراءات مشروعة أو ملازمة لها، أو مرتبا عليها، في حدود تمشي ذلك مع القواعد النموذجية لمعاملة السجناء." (عزري، 2010-2011، ص 26)

أما تعريف الاتفاقية الثانية وهو الأوسع استخداما، حيث نصت المادة الأولى منها "يقصد بالتعذيب أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسديا كان أم عقليا، يلحق عمدا بشخص ما بقصد الحصول من هذا الشخص، أو من شخص ثالث، على معلومات أو اعتراف، أو معاقبته على عمل ارتكبه أو يشتبه في أنه ارتكبه، أو شخص ثالث، أو تخويفه، أو إرغامه هو أو أي شخص ثالث أو عندما يلحق مثل هذا الألم أو العذاب لأي سبب من الأسباب يقوم على التمييز أيا كان نوعه أو يخرض عليه أو يوافق عليه أو يسكت عنه موظف رسمي، أو أي شخص يتصرف بصفته الرسمية، ولا يتضمن ذلك الألم أو العذاب الناشئ فقط عن عقوبات قانونية، أو الملازم لهذه العقوبات أو الذي يكون نتيجة عرضية لها". (الدوهان، 2010، ص 29)

من هذا التعريف يمكن استخراج أربعة عناصر يلزم توفرها في هذا العمل "

✓ إيقاع ألم شديد، وقد يكون جسديا أو عقليا.

✓ عمل متعمد

- ✓ لغرض محدد: الحصول على اعتراف، أو الإرهاب، أو العقاب، أو التمييز أو أي نوع.
- ✓ بواسطة مسؤول رسمي: أو بدرجة من درجات المشاركة الرسمية.

وقد اقترح المقرر الخاص أن يضاف إلى هذه العناصر معيار العجز، وتنشأ حالة العجز، عندما يمارس شخص ما سيطرة تامة على شخص آخر تكون في العادة في حالات الاحتجاز، حيث لا يستطيع المحتجز الهرب أو الدفاع عن نفسه، وقد تنشأ أيضا أثناء المظاهرات، عندما لا يستطيع شخص ما، مواصلة الصمود في وجه القوة، كأن يكون مكبل اليدين في سيارة تابعة للشرطة مثلا، وإذا رُئي أن أحد للضحايا غير قادر على الفرار، أو أكرهته بعض الظروف على البقاء، يمكن عندئذ اعتبار أن معيار العجز قد تحقق. (الجلادون الفرنسيون أمام حرب الجزائر، مجلة المجاهد، 1958)

02- جريدة المجاهد وفضح أساليب التعذيب الفرنسي:

عملت جريدة المجاهد منذ ظهورها على الساحة السياسية الجزائرية في جوان 1957، كلسان ناطق باسم جبهة التحرير، على فضح أساليب التعذيب، الفرنسي، أمام الرأي العام الفرنسي والدولي، بالرد على الادعاءات التي ما فتى الساسة الفرنسيون يرددونها على أن "التعذيب ليس ظاهرة عامة وإنما هي مجرد حوادث نادرة ومعزولة، وعرضية، ارتكبتها جنود وضباط عاملون في اللقيف الأجنبي، بالإشارة إلى مهنية العملية، وتولى شؤونها مؤسسات قائمة بذاتها، لها هيكلها ومنظورها أمثال "لوفردو" و "بودفان"، ومراكزها التكوينية في فنون الإبادة، مثل "مدرسة جان دارك" في سكيكدة، وبالتالي هي جزء من النظام الاستعماري القائم، وضرورة أساسية لبقائه، كتبت في هذا الصدد مقال بعنوان "التعذيب ضرورة أساسية للنظام الاستعماري، التعذيب أسلوب من أساليب الحياة" وضحت فيه مسألة مهمة تتمثل في "إبراز آثار التعذيب، وتكراره في "الجزائر ليس فقط على الجزائري المعذب، وإنما على نفسية الجلاد الفرنسي حيث تقول "إن هذا الأسلوب من التعذيب له عوارض، وأحداث تستحق التحليل، ففي الثلاثة

أشهر الأولى من عام 1956، بلغتنا أخبار عن رجال من البوليس صاروا على أبواب الجنون والخبال من جراء التعذيب، فهذا يهدد زوجته بالقتل، وذلك يعذب أبناء بالضرب الشديد، وثالث لا يستطيع النوم مطلقا، ورابع يصرخ خلال نومه صراخا غريبا، وخامس يريد الانتحار، بل إن منهم من انتحر فعلا مثل "كوميسار" في عمالة قسنطينية"...كل هذه الحوادث أدخلت الحلل على حياة الجلادين العائلية، واضطرت عائلاتهم إلى أن تعرضهم على الأطباء واضطر رؤسائهم إلى أن ينقلوهم إلى مصالح آخر".(النازية أعلى مراحل الاستعمار، جريدة المجاهد، 1961)

أن هدف الجريدة من استعراض هذه الحالات، هو الرد على الادعاء الفرنسي السابق، والتأكيد على إن التعذيب أسلوب يلزم حياة الجلاد الفرنسي في الجزائر، وليست ظاهرة استثنائية، أو عرضية واصلت تقول "هل وجود الحالات المرضية هو دليل يثبت الطابع الاستثنائي للتعذيب؟ هل تقف برهانا على تنصل الشرطي من الشرعية القائمة؟ هل تعبر عن خروج الشرطي عن قيم المجتمع والدولة اللذين وظف ليدافع عنهما".(النازية أعلى مراحل الاستعمار، جريدة المجاهد، 1961)

لم تتوان "جريدة المجاهد" في وصف القائمين على هذا النظام بالنازيين، يهددون قيم الجمهورية "إن هؤلاء الضباط رغم قراءتهم "لماوتس تونغ" لم يستفيدوا من أي درس من دروسه لكنهم استفادوا كثيرا من الفلسفة النازية والفاشية، لأنها تنسجم مع حقدهم العنصري ضد الشعوب المكافحة في سبيل استقلالها، إن طرق التعذيب بالكهرباء، وحمام الاستحمام والزجاجات...مقتبسة من أساليب "الجيستابو" وعمليات القتل الجماعي، وإعدام الرهائن، ومعسكرات التجمع والاعتقال، والطرق التي اتبعوها في تشويه المناضلين عقليا ونفسيا لاستخدامهم كجواسيس وعملاء بعد ذلك، كلها تطبيقات للأساليب النازية مع تكييفها مع الواقع الجزائري. (النازية أعلى مراحل الاستعمار، جريدة المجاهد، 1961)

إن هذه الحقائق التي حاولت "جريدة المجاهد" إيصالها إلى الرأي العام الفرنسي خاصة، والرأي العام الدولي عامة، جاءت متزامنة مع حملة شنها، المثقفون الفرنسيون، وبخاصة اليساريون منهم، ضد عمليات التعذيب في الجزائر، وكانت وسيلتهم في ذلك إلقاء المحاضرات، وكتابة الكتب، واشتهرت في هذا المجال، مجلات مثل: Esprit، France observateurs و modernes ، le temps ، l'Express ، vérité عن طريق هذه القنوات بدأت تظهر تفاصيل وحقائق عما يتعرض له الجزائريون، في العديد من الشهادات والاعترافات، تتفق كلها مع فكرة، أن ممارسة التعذيب في الجزائر بدأت يتحول من شبه العشوائية إلى شكل من الأشكال المهنية، وإلى مؤسسات قائمة بذاتها ضمن نظام الاحتلال ككل. (الغالي، 2009، ص 292)

ففي شهر فيفري 1957 بادرت جريدة (Témoignage chrétien) إلى نشر ما عرف بملف Jean muler" وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل بعثها هذا الأخير لأصدقائه عام 1956 ومما جاء فيه "نحن أبعد ما نكون عن التهدة، لقد أصابنا اليأس مما نشاهده من درجة الانحطاط التي بلغت الطبيعة البشرية، ومن إقدام بعض الفرنسيين بالذات على استخدام أساليب جديدة بالهمجية النازية". (توقية، 2010، ص 373)

وفي نفس الشهر صدر كتاب (Contre la torture) للفرنسي "بيار هنري سيجون" والذي قارن فيه بين الممارسات النازية وما يحدث في الجزائر قدم له بقوله: "سأكتب هذا الكتاب..وليس بدون سبب..فانا اعلم الكلمات ستمزقني في الغالب، واعلم أنني سأثير ضدي غضبا سوف ينفجر شتائم ومطاعن، وأنا اشعر بالارتياح في التعاطف أكثر من الحقد وأفكر على الخصوص أنني سأباغت واصدم أناسا فضلاء ، وكائنات عزيزة، واني سأتألم من توبيخهم أو من سكوتهم، ومع ذلك يجب أن ارفع صوتا يختفي منذ أن أزعجت ضميري - كفرنسي - معرفة بعض الأعمال"، وقدم للوثائق والشهادات التي أوردها في هذا الكتاب بقوله: إنها باقية لا من الزهور والآداب الإنسانية، بل من الأشواك الدامية". (الصدقي، ب.س.ط، ص ص 98،99)

وفي نفس السياق، أصدر "روبيرت بونود" مقالة المدوي في مجلة (L'esprit) والمعنون ب (La paix des nemenchas) والذي تفرض فيه إلى الأساليب والوسائل المتبعة من طرف ضباط الوحدات العسكرية الفرنسية ضد الجزائريين، (الغالي، 2009، ص 293)

إلا أن الضجة الكبيرة كانت بعد صدور كتاب "La question " "لهنري علاق" المناضل الشيوعي ومدير جريدة Alger républicain الذي كشف فيه أن ممارسة التعذيب كانت منظمة ومقتنة في الجزائر ووصف أيضا المعاناة، والآلام، الفظيعة التي عاشها من جراء تعرضه لمختلف صنوف التعذيب بداية بالكهرباء، ومرورا بأنبوب الماء، التي مارسها عليه المظليون في شهر جوان 1957، (الصدى، ب.س.ط، ص 114، 110) وقد تركت شهادة "هنري علاق" أثرا بالغا وصدى واسعاً، في المجتمع الفرنسي، الذي اكتشف لأول مرة زيف ادعاءات حكومته من قضية التعذيب، وحقيقة ما يحدث، في السجون ومراكز الاعتقال، ومنذ صدور هذا الكتاب بدأ في المجتمع الفرنسي يتشكل توجه جديد، وبصفة خاصة المثقف منه، معارضا للسياسة القمعية الفرنسية في الجزائر، مع طرحه للحل السلمي المتمثل في فتح مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، وقد جسد هذا الموقف الفيلسوف الفرنسي "جان بول سارتر" عندما قال "لن نستطيع أنسنه حرب الجزائر فقد قام فيها التعذيب تلقائياً، وأدت إليه الظروف وعمقته النزعات العنصرية، وإذا كنا نود أن نضع حدا لهذه الأعمال الوحشية القذرة الكثيرة، وان ننقذ فرنسا من العار، وننقذ الجزائريين من الجحيم فليس أمامنا إلا وسيلة واحدة، وهي أن نفتح المفاوضات ونعقد السلام". (سارتر، 1958، ص 66، 65)

في الحقيقة أنه مع اندلاع الثورة التحريرية تصاعدت وتيرة اللجوء إلى استخدام التعذيب، كوسيلة لتزكيع الشعب الجزائري، وإذلاله، وتخطيم معنوياته، بمعنى كان التعذيب أداة حرب مؤسسية قائمة بذاتها تلقى الدعم المادي والبشري من طرف الحكومات الفرنسية التي تعاقبت على الحكم، ولم تتوان هذه الأخيرة، في تمكين هذه المؤسسة ورجالها الغطاء القانوني لها، الذي يجعلها بعيدة عن أية متابعة قانونية قد يعرقل سير عملها، ويؤكد ذلك الوثيقة رقم 11 الصادرة في

1957/07/1 مضاة من طرف وزير الداخلية الفرنسي آنذاك "بورجيس مانوري" الموجهة إلى كافة الوحدات العسكرية الفرنسية المتواجدة في الجزائر " مؤكدة أن الحرب مع الجزائريين هي حرب أمنية أكثر منها حرب عسكرية وان عليهم إطلاق النار على كل كائن حي ، يحاول الفرار من وجه القوات الفرنسية، وتشدد الوثيقة، على ضرورة الإسراع، باستخدام الوسائل والأساليب الأكثر قسوة وان تحقيق النصر، لا يكون إلا باستخدام وتجنيد كل الإمكانيات المتاحة".(الغالي، 2009، ص223)

كانت عملية تعذيب الجزائريين تتولاها المؤسسات الفرنسية التالية:

✓ المفرزة الحضرية للحماية (D.P.U) تم إنشاؤها من طرف "روبيرت لاكوست"، ووضعت تحت إمرة العقيد "روجر ترينكي" وحدد مهمتها في جمع المعلومات التي تخص التنظيم السياسي والإداري لجبهة التحرير، وتقديم المشبوهين الذين يلتقى عليهم القبض إلى المظليين.(توقية، 2010، ص355)

✓ المفرزة العملياتية للحماية (D.O.P) تمثل مهمتها في استقبال الأشخاص المشتبه بهم الذين يتم تحويلهم من المصلحة السابقة، أو الذين يتم القبض عليهم أثناء العمليات العسكرية، وتتكون هذه المصلحة من خبراء الاستنطاق، أو التعذيب الأشخاص، الذين يرفضون الاعتراف، وفي هذه المصلحة يتحدد مصير هؤلاء.

✓ مركز الاستعلامات والعمليات (C.R.A) كانت مهمة هذا الجهاز توحيد العمليات بين مختلف المصالح والأشخاص والوحدات الاستعلامية، الموضوعة تحت قيادة القطاع العسكري بالشرق الجزائري، وكان مركزه "مزرعة أمزيان" أما عن الهيئات التي تم تجميعها تحت إشراف هذا المركز هي:

✓ الوحدات العملياتية للقطاع العسكري.

✓ وحدات الجند رمة، المصالح الإدارية الحضرية والمصالح الإدارية المنخفضة.

✓ المصالح المدنية (الشرطة القضائية، شرطة المخابرات العامة، شرطة الطيران والحدود والسكة الحديدية).

✓ مجموعة من المفاوير والكومندو.

أسندت مهمة الإشراف على هذا الجهاز إلى "العقيد" بيرتراند "الجنرال" لينيو" والجنرال "جورود" والرائد "روديي". (غالي، 2009، ص ص 303، 300)

✓ أساليب التعذيب: كانت عمليات التعذيب والاستنطاق تجري عادة في أماكن يتم اختيارها بدقة وبمواصفات معينة، فتكون بعيدة عن أنظار الناس، معزولة، فقد تكون في مزارع مثل مزرعة "امزيان" بالقرب من قسنطينة، أو فيلا "سوزيني" في أعالي الجزائر العاصمة. (غالي، 2009، ص 306) وقد تكون عبارة عن مصانع قديمة، مثل معمل الحلويات المهجور في الغرب الجزائري. (مغنية، 2010، ص 163)

✓ أما عن أساليب التعذيب، فهي متنوعة، تختلف حسب شدتها، وحسب درجة المسرات " "البهيمية" التي يستلمها الجلادون، وبوجه عام تعرف خمسة أنواع من التعذيب تستعمل بكيفيات مختلفة يمكن رصدها على النحو التالي:

- التعذيب بالكهرباء: استعمل على نطاق واسع، حسب ما أكده أحد الذين ساهموا في مثل هذه الوسائل القذرة "الجنرال المتقاعد" بول أوساريس"، لأنها لا تختلف آثارها ظاهرة على جسم المعذب تحتفي مع فترة من العلاج، تقع هذه العملية ليلا، إذ يمدد المعذب على طولة العمليات، " وتقيد رجلاه ويده، ثم يفرغ على جسمه وعاء من الماء لتعميم التيار الكهربائي عند إرساله، وهناك يسلط التيار على الأعضاء الحساسة من جسم الرجل أو المرأة المعذبة، وهي الأذنان، واللسان، والأعضاء التناسلية، والنهتان، وقد يقيد الشخص عاريا ويربط بالجدار ورجلاه واقعتان في صحن من ماء وهذه الكيفية تضاعف شدة الألم، أو يكون الجسم مربوطا إلى سلم مغمورا في صحن

من ماء كذلك وبوضع الخيط الكهربائي على مختلف الأعضاء، هذا الأسلوب جرب على بنات في فيلا "سوزيني" وقدم بوضع الشخص عاريا داخل أنية قوسية، مقيد اليدين والرجلين، وهاتان الأخيرتان واقعتان في الماء، فيأتي الجلاء متقيا بقفازين من مطاط، وقباقيب من خشب، فيرسل التيار الكهربائي بواسطة قلم حديدي مسنون يغرزه في اللحم، واستعملت هذه الكيفية في مركز قيادة الاييار أما الكيفية الأخيرة للتعذيب بالكهرباء هي إدخال الشخص في حوض مملوء بالماء وإرسال التيار الكهربائي في الماء لإغراق الجسد كله في الماء المكهرب، وهذا الأسلوب هو أفسى ألوان التعذيب وأفظعها على الإطلاق يسلمه جنود المجلات على ضحاياهم.

ينبغي الإشارة إلى أن المعذبين بهذا الأسلوب لا يطلق سراحهم في الحال بعد تعذيبهم إذ يخضعون لفترة علاج لإزالة آثار التعذيب على أجسامهم، قد تصل في أقصى تقدير 20 يوم. (نجاحي، 2007، ص 145)

- التعذيب بالماء: يمكن ترتيب كفيات التعذيب بالماء على ثلاثة أصناف:

- الصنف الأول: وهو إفراغ الماء في البطن من الفم وذلك بكفيات عديدة
- يدخل قمع في الفم ويفرغ فيه الماء الى غاية انتفاخ البطن انتفاخا كبيرا، وبشكل غير طبيعي يقفز أحد الجلادين، ويقع مستويا على رجليه، فوق بطن المعذب، فيتطير الماء من الفم، ومن بقية المخارج الإنسانية.
- إدخال أنبوبة في الفم متصلة بجنفية، وعندما يبلغ البطن من الانتفاخ أقصاه تكرر الكيفية المذكورة لا فراغه

● الصنف الثاني: المغطس أو الحمام: تختلف كفيات التعذيب بالمغطس، بحسب اختلاف الجلادين في التنفن والوحشية.

أ. في فيلا كرا- في شاطئ "بان رومان" يجرد المعذب من ثيابه في الليل حين اشتداد البرد في مغطس مليء بالماء ويبقى رأسه في الماء حتى يشرف على الاختناق.

ب. في فيلا سوزيني" يدخل الشخص في جراب، ويغرق في المغطس حتى يقرر أو يختنق، وهذه الكيفية تستعمل في تعذيب البنات بالخصوص.

ج. في فيلا "سوزيني" يجلس المعذب جاثيا وتوضع تحت ركبتيه عصا ويكف ذراعه تحت العصا ثم توثق ركبته، وهناك يدخل المعذب في المغطس، وتوضع طرفا العصا على حافتي المغطس، فيصير المعذب معلقا على ركبتيه ويديه على العصا، وهي كالمحور يتأرجح تحته الشخص فيغطس رأسه في سائل قدر كلما أنكر.

● الصنف الثالث: القماط: في عمارة - كراند تيراس- بشاطئ دومولان: بالعاصمة يربط جسم المعذب كما يربط الرضيع المقمط، ويعلق من رجليه بجبل يدلى بعجلة من الطابق الأول الى ماء البحر، فيبقى غارقا عدة ثواني تمر عليه كأنها قرون، ثم يخرج وهو يرتعد من البرد، ويستأنف الاستنطاق، ثم تكرر هذه العملية حتى يقرر المعذب أو يفقد كل شعور أو يموت.(مجلة المجاهد، العدد8)

✓ **التعذيب بالنار:** وهو من أشد أنواع التعذيب شدة وقساوة، لا يتحمل تنفيذه إلا جنون الذين يعملون به، وتتلخص بعض جوانبه في حالات التالية:

✓ يجلس المعذب على كرسي يوثقه بظهره الجلادون، وهو عاري الصدر، ثم ينفخ الجندي الذي يستنطقه على عينيه دخان التبغ، ثم يطفىء لفافته المشتعلة في صدره ونهديه

✓ يوثق المعذب ممدودا على طاولة العمليات، وهو عاري الصدر ثم يبل بالبنزين، وتشعل فيه النار.

✓ تقيد يد المعذب من خلف وتحرق أطافره، وإطراف أصابعه بالكبريت، يثير ذلك آلاما يعجز عنها الوصف.

✓ تشد الرجلان عاريتين، وتوضع تحتهما شمعة موقدة، وقد خلقت هذه العمليات في أرجل بعض المعذبين ثقوبا غائرة. (مجلة المجاهد، العدد8)

✓ التعذيب بالحديد: يتلخص في العمليات التالية:

1. يحرق باللكوأة صدر المعذب وذراعه وأصابع رجله
2. يجلس المعذب على كرسي عاري الصدر، والظهر فيعضه الجلاد بكلايب، ويقشط اللحم من الظهر والنهدين والشفتين.
- يقطع الجلاد بسكين حاد مسنون، قطعاً من لحم المعذب، ثم يوسع الجراح ويحكها بالملح الحجري.
- توضع الكفان على الأرض ويضرب الجلاد ظهرها بمتون الحناجر وأيدي الفؤوس.

✓ التعذيب بالحبل: ويتم عن طريق العمليات التالية:

- ✓ عملية الجراب: يوثق المعذب من رجله ويديه مجموعة بحبل كالمشاية ثم يعلق ويرفع بالعجلة نحو السقف، وهناك يطلق الحبل، فيهوي المعذب الى الأرض واقعا على رأسه وظهره كالجراب.

✓ الخنق: يوثق المعذب جالسا على كرسي يشد عنقه بحبل دقيق، ثم يجذب اثنان من الجلادين حتى يغص المعذب أو يموت شنقا.

✓ الربط على الأرض: يمدد المعذب على الأرض الباردة الرطبة في بعض الكهوف بضاحية العاصمة وهو على هيئة الصليب، وتشد رجلاه ويده بأوتاد مضروبة في الأرض، ويترك السجين هكذا أياما وليالي في الظلام الحالك والوحدة المطلقة، وكانت النتيجة المترتبة عن هذا النوع من التعذيب جنون أغلب من تعرض له. (مجلة المجاهد، العدد8)

أشارت جريدة المجاهد على لسان شهود عيان إلى أنواع أخرى من التعذيب، خاصة في منطقة القبائل، تدل دلالة واضحة على وحشية الجنود الفرنسيين، ففي مركز تعذيب "بقنطرة بجاية" تيزي وزو، جعل في طاحونة قديمة، يكدس المساجين في مخاضٍ ثم يقتلون بالاختناق بواسطة دخان اسود يأتي من إحراق كمية كبيرة من المازوت، وعلى هذه الصورة قتل 34 شخص من بين 38 شخص أُلقي القبض عليهم بتاريخ 20 أوت 1958.

- الشنق: في حوز فورناسيرنال" في بني دوالة" يعلق المشبوه من رجليه في سلك حديدي ملولب يمر بجرار معلقة في السقف، ثم يغمس رأسه و صدره في إناء مملوء بالماء حتى يشرف على الاختناق، ثم يخرج لبضع لحظات، ليغمس فيه من جديد، وهناك أسلوب آخر مستعمل يتمثل في وضع المشبوهون في صندوق خشبي مستدير ثم يرمى بهم من أعلى منحدر صعب فتصطدم الصناديق بالصخور إلى أن ترطم في الأخير على الأرض الصلبة أو في أعماق وادي عميق، وهناك يترك أولئك المشبوهون، بعد أن تكسرت أعضاؤهم وعظائهم، وصارت أجسادهم مخططة بالجروح البليغة. (مجلة المجاهد، العدد10)

03-تعذيب جميلة بوحيرد^(*):

بعد إصابة جميلة بوحيرد في كتفها أخذت لمستشفى العاصمة لإجراء عملية جراحية مستعجلة، ليس حفاظا على صحتها ، بقدر ما كانت السلطات الفرنسية ترغب في بقائها حية للحصول على اعترافات حول قضية القبائل، ومعلومات حول شبكة العاصمة، لذلك سارع الجنرال ماسو للمستشفى الذي تقيم به بوحيرد، فبدأ استجوابها وهي طريحة فوق منضدة العمليات، فقال لها بلهجة ساخرة" رايتا أين قاذك عمك"، فأجابته جميلة بشجاعة بالغة" أنتي لم اعرف قيمة عملي في خدمة وطني إلا في هذه اللحظة، عندما رايتكم ملتفين حولي كما تحيط الكلاب الجائعة". (الميلي، 1957، ص ص 104-105)

وبعد انتهاء العملية، وكعادة الجلاد الفرنسي يستدرج ضحايا إلى أماكن خلية بعيدة عن أعين الناس، نقلت بوحيرد إلى المستشفى العسكري(مايو)، وهناك تفنن الجلاد الفرنسي بقيادة النقيب" غرازباني" في تعذيب جميلة، فبدأها أولا بعملية الصق الكهربائي التي استمرت ثلاثة أيام متتالية من 17-19 افريل 1957، و تمت بواسطة الأسلاك الكهربائية التي أدخلت في العضو التناسلي والأنف والأذنين والقم وتحت الإبط وعلى حملي الثديين ، الأمر الذي عرضها للإصابة بنزيف استمر 15 يوما، لعدم تحمل حسدها الهزيل صعقات

الكهرباء، ولكنها تحملت عملية التعذيب هذه بشجاعة كبيرة، ولم تعترف على احد من زملائها، وبعد ذلك نقلت إلى سجن بربروس أين تعرضت إلى سلسلة أخرى من التعذيب أفضح من سابقتها، حيث استمرت جلسات التعذيب 18 ساعة متتالية، مورست فيها شتى أنواع التعذيب، كان أخطرها الصعقة الكهربائية بإدخال الأسلاك الكهربائية إلى شفتها وأقدامها، حتى أعجمي عنها، وفي هذا الصدد تذكر بوخيرد في تعليقها على جلادها قائلة "إن الذين عذبوني هكذا لا يحق لهم إذلال المخلوق البشري كما فعلوا جسديا على شخصي أنا، وأخلاقيا على أنفسهم". (أرنو، 1957، ص ص 8-10)

04- تعذيب جميلة بوباشا*):

في الليلة 10-11 فيفري جاء 50 من الحراس ورجال الشرطي ومفتشي البوليس إلى المنزل الذي تقطن فيه جميلة بوباشا مع أهلها، تعرضت خلالها للضرب المبرح، هي وزوج أختها، واقتيدوا جميعا إلى مركز الايبار، وهناك تعرضت بوباشا لأقسى أنواع التعذيب على يد العسكريين الفرنسيين يقودهم ضابط برتبة "كابيتان" من رجال المظلات، وبعد 5 أيام من التعذيب المستمر بمركز "البيار"، نقلت إلى مركز حسين داي ، حيث بدأت المرحلة الثانية من التعذيب، فعذبت الشابة بوباشا بالصعق الكهربائي، حيث كان الحراس يلصقون الأسلاك الكهربائية على الأجزاء الحساسة من جسد جميلة بوباشا، ثم يبدءون في إرسال التيار الكهربائي على تلك الأجزاء، وكانوا يقضون الأوقات التي تتخلل فترات التعذيب بالكهرباء في توجيه اللكمات القوية إليها وحرق جسمها بواسطة السجائر المشتعلة. (مجاهة المجاهد، العدد 70، 1960)

لم يقف الجلادون المجرمون عند هذا الحد بل كانوا يتدرجون بضحيتهم إلى أنواع أخرى من التعذيب اشد وأفضح من التي سبقتها، وهكذا أعقب التعذيب بالكهرباء ، نوع آخر من التعذيب، إذ علقت جميلة بوباشا على عمود خشبي فوق حوض الماء، وبدا الجلادون الفرنسيون يغطسون رأسها في الماء على فترات متوالية حتى كادت تختنق، وكان هؤلاء

الجلادون الذين يقومون بتعذيبها يضيفون إلى التعذيب الجسدي شتائمهم، وتعليقه الساحرة على فتاة عزلاء وحيدة تتحدى في إباء وصمود جلادها، بالإضافة إلى هذه الأنواع من التعذيب ذكره جميلة بوباشا أنها تعرضت إلى أنواع أخرى حيث قالت " ثم عذبوني بواسطة القارورة وهي أفظع أنواع التعذيب وأشدّها ألماً ، فبعد أن قيدوني في وضع خاص ادخلوا عنق القارورة في بطني، وكنت أصبح بكل قواي ثم أغمي علي مدة يومين"، وتذكر جميلة بوباشا أسماء بعض الشهود الذين زاروها في مركز حسين داي مغنى عليها والدم يسيل من جميع أجزائها ، وحراسها المجرمون يجرونها دون أن تؤثر فيهم فيهم حالتها المفجعة، وأراد هؤلاء أن يؤثروا على معنويات أيها الذي يبلغ من العمر 70 عاما فاخذوا إليه ابنته وعرضوها أمامه وهي على هذه الحالة. (مجلة المجاهد، العدد 70، 1960)

■ الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة البسيطة التي استعرضت جانب ضئيل من أساليب التعذيب الفرنسية في الجزائر، التي لم تستثن لا الصغير ولا الكبير، ولا النساء ولا الرجال، ينبغي القول، أن هذه الأخيرة بمقارنتها بالاتفاقيات الدولية التي تم استعراضها سابقا، تعتبر جرائم حرب أو إثباتا للمسؤولية الدولية على فرنسا، وكتيجة على ذلك تصبح مسألة المحاكمة متاحة قانونيا، خاصة وان هذه الجرائم ينطبق عليها المبدأ الذي أكدته ودعمته، اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية 1968.

فما على القائمين على هذا البلد، والمتضررين من هذه الجرائم إلا البحث عن أنجع السبل لتحقيق ذلك، والسبل المتاحة كما يحددها الحقوقيون تتمثل في:

- المحاكمة بواسطة المحاكم الوطنية ذات الاختصاص العالمي (القضاء البلجيكي)

- المحاكمة بواسطة محاكم دولية جنائية خاصة.

في انتظار تحقيق ذلك يجب اتخاذ الإجراءات التالية:

- تدعيم الجمع بين الجانبين التاريخي والقانوني اللذان يشكلان ركائز متابعة فرنسا عن جرائمها في الجزائر.

- الالتزام بجمع ضحايا الجرائم الفرنسية في الجزائر وفق تنظيمات قانونية وبالأخص ضحايا التفجيرات النووية، وضحايا التعذيب، وضحايا الأسلاك الشائكة.

- الإسراع بإخراج قانون يجرم ما قام به الاستعمار في الجزائر مع التأكيد فيه على الانتهاكات الجسيمة لاتفاقيات جنيف 1949.

- السعي إلى رفع الاهتمام السياسي الجزائري بشأن الجرائم الفرنسية بتداوله بصورة جادة في أعلى المنابر السياسية (البرلمان، الأحزاب السياسية)

▪ قائمة المراجع

- 1- للاطلاع على هذه الاتفاقيات انظر عزي زهير: مناهضة التعذيب في القانون الدولي العام، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، 2010-2011، صص. 29-90
- 2- محمد بن عبد الرحمان العلي الدوهان: حظر التعذيب في المواثيق والاتفاقيات الدولية بين النصوص والواقع، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2010
- 3- عزي زهير: مرجع سابق، ص. 26 انظر كذلك: عبد الله محمد سلامة ابو بكر: جريمة التعذيب في القانون الدولي، والجنائي، والقانون الداخلي، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 2006،
- 4- الجلادون الفرنسيون أمام حرب الجزائر"، مجلة المجاهد، عدد، 5، 1958/9/10
- 5- النازية أعلى مراحل الاستعمار"، جريدة المجاهد، عدد 8/9، 1961/6/19
- 6- غربي العالي: فرنسا والثورة الجزائرية، دراسة في السياسات والممارسات، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009،
- 7- محمد توقية: الثورة الجزائرية، المصدر الرمز المال، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصة، الجزائر، 2010،
- 8- الصديق محمد الصالح: صفحات من مجاهد الجزائر،، شركة الشهاب الجزائر، (ب.س.ط)

التعذيب الاستعماري الفرنسي في الجزائر فنونه وأساليبه من خلال جريدة المجاهد 1957-1962: حالنا جميلة بوحيرد وجميلة بوباشا أمودجا - استحضار للذاكرة زدعوة للمحاكمة-

- 9- جان بول سارتر: عارنا في الجزائر، ترجمة سهيل ادريس، عائدة، دار الآداب، بيروت، 1958
- 10- لزررق مغنية: التعذيب والمخطاط الإمبراطورية من مدينة الجزائر إلى بغداد، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010
- 11- التعذيب الاستعماري في الجزائر"، مجلة المجاهد ، عدد 8،10/أغسطس/ 1957، انظر كذلك، بوعلام نجادي: الجلادون، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ، الجزائر، 2007
- 12- محمد مبارك المليلي: جميلة بوحيرد ، تونس 1957
- 13- جورج ارنو ، جاك فيرجيس: دفاعا عن جميلة بوحيرد، دار العلم للملايين، بيروت ، 1957
- 14- جميلة بوباشا" ، مجلة المجاهد ، عدد70، الجزائر، 13/6/1960

(*) ولدت جميلة بوحيرد في العام 1935، في منطقة رفقة الرمانه الواقع في مدخل حي القصبة في العاصمة الجزائرية ، انخرطت في العمل المسلح كفدائية في عام 1955، شغلت منصب أمينة سر المناضل " ياسف سعدي" الذي أثرها على غيرها من الفدائيات لإقدامها وإخلاصها وشجاعته، تلخص عمل جميلة في هذه المرحلة في نقل الرسائل السرية للقادة العسكريين، والقيام بعملية التعمية والتوعية في صفوف مواطني القصبة، شاركت بوحيرد في العديد من العمليات الفدائية، اذكر منها على الأخص: عملية تدمير ملهى " ميلك بار الشهير في جانفي 1957، فضلا عن اشتراكها في إلقاء القنابل في ملهى " الكافيتاريا" و " الكوك هاردي" والتي أسفرت عن مقتل ثلاثة أشخاص وجرح 20 أوروبيا، وكانت هذه العمليات سلسلة من عمليا أخرى نفذت في أماكن متفرقة تتواجد فيها الجالية الفرنسية، اعتقلت جميلة بوحيرد في 9 افريل 1957، على اثر كمين نصب لها في حي القصبة من طرف جنود المظلات

(²) جميلة بوباشا من مواليد 1938، انضمت للثورة عام 1955، وهي ما تزال تلميذة، وكان عملها تتمثل في نقل الأدوية والوثائق لمجاهدي جبهة التحرير، وإيواء المناضلين، اعتقلتها القوات الفرنسية في 9/9/1960، ومورست عليها شتى أنواع التعذيب بقيت في السجن إلى غاية استرجاع السيادة الوطنية (³)